سلسلة مقالات الأنبا ساويرس
البطريرك الانطاكي
١٣

الكتبة والفريسيون

مليكه حبيب يوسف
يوسف حبيب

« باسم الآب والابن والروح القدس اله واحد امين »

حضرة صاحب الغبطة أبينا المكرم الأنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

١٣

الكتبة والفريسيون

مقال القديس أنبا ساويرس

عن

كلمة للسيد مخلصنا في الاناجيل التي قالها للفريسيين والكتبة :

« واما انتم فتقولون من قال لابيه او امه قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يكرم اباه وامه . فقد ابطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » مت ١٥ : ٥ — ٦ .

« ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان . بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان » مت ١٥ : ١١ .

مترجم عن الفرنسية من الكتاب الثاني من الجزء العشرين من مجموعة Patrologia Orientales R. Graffin- F. Nau
Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche
Homélie LXXIX
Publiée par Maurice Brière Paris .

مليكه حبيب يوسف
يوسف حبيب

تمهيد القديس لتفسير الآية

قد مرّ وقت طويل منذ أن تحدثت إليكم فى الكنيسة ، لأنى كنت منشغلا فى شن الحرب على الهراطقة أو المتمردين . فلو كنت مالكاً لناصية البيـــان للزم كما يقول قانون بولس الرسول ، أن اقنعكم واحثكم حسب التعليم الصحيح وفى نفس الوقت ادحض آراء المعارضين . « **ملازما للكلمة الصادقة التى بحسب التعاليم لكى يكون قادرا ان يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين** » تى ١ : ٩ .

ان بعد العودة من أسر بابل كان هناك من يعملون بهمة بكل قوتهم وكل قدرتهم لكى يعيدوا بناء الهيكل المقدس وأسوار أورشليم ، بينما كان البربر حولهم يحسدونهم . فكانوا يريدون أولا وقبل كل شىء أن يشتركوا فى هذا العمل نفاقاً منهم ورياء لاظهار تدينهم الذى لا وجود له ،وبذلك يخفون مكرهم الشرير ، وكانوا يسمعون القول : « **ليس لكم ولنا ان تبنى معا بيتا لالهنا** » عزرا ٤ : ٣. ثم كانوا يحاولون أيضاً أن يقلبوا لهم ظهر المجن بحسارة ويحاربوهم ويحولوهم عن نشاطهم . لكنهم كانوا يحدونهم يعرفون كيف يبنون ويحاربون فى نفس الوقت ، كما

يشهد بذلك الكتاب المقدس فى هذا التعبير: « **البانون على السور بنوا وحاملو الأحمال حملوا . باليد الواحدة يعملون العمـــل وبالأخرى يمسكون السلاح وكان البانون يبنون وسيف كل واحد مربوط على جنبه وكان النافخ بالبوق بجانبى** » نحميا ٤ : ١٧ — ١٨ .

وبما أنه يبدو لنا أنه ليس فى الاستطاعة أن نقوم بهذين العملين فى وقت واحد ، فإما أن نحارب ونكون على أهبة القتال من أجل معركة الرب ، وإما أن نبنى الكنيســة بتعاليم وارشادات . واشرع الآن ، وقد أخذت بعض الراحة ، فى أن أفتح فمى الروحى لأقبل الروح القدس . « **ففرت فمى ولهثت لانى الى وصاياك اشتقت** » مز ١١٨ : ١٣١ . وحسب قول بولس الرسول،أقولها كلمة قصيرة بذهنى يمكن أن تعلم الآخرين، وان لم تتميز بالغزارة بل تفيض حسب الحال ولها دوى هائل بواسطة اللسان . « **ولكن فى كنيسة اريد ان اتكلم خمس كلمات بذهنى لكى أعلم اخرين ايضا اكثر من عشرة الاف كلمة بلسان** » ١ كو ١٤ : ١٩ .

بعض الناس فعلا ، يلومون صمتى ويقولون بأنه ليس من الرجاحة فى شىء أن نصمت ، فيسألوننا أسئلة عديدة : بعضها

شأن الأطفال الصغار جداً ، والبعض الآخر من ناحية أخرى ، ممن هم أكثر تقدماً فى السن وأشد قوة ، لكنهم مع ذلك يحتاجون إما إلى اللبن أو إلى قطعة خبز ، بل قطعة خبز مفتتة ومقطوعة إلى أجزاء صغيرة : كان يلزمهم أن تكون لهم حواس مدربة قد صقلها التعليم المحكم فيكون فى استطاعتهم أن يأخذوا طعاماً كاملا . « **لأنكم إذ كان ينبغى أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هى أركان بداءة أقوال الله وصرتم محتاجين الى اللبن لا الى طعام قوى . لان كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل . وأما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر** » عب ٥ : ١٢ — ١٤ .

وانا نخشى من سكوتنا أن نعطى مكاناً لمرثاة أرميا التى تقول : « **لصق لسان الراضع يحنكه من العطش . الأطفال يسألون خبزا وليس من يكسره لهم** » مراثى أرميا ٤ : ٤ .

يحسن إذن أن نقدم جهراً إحدى هذه النقاط التى تشكك فيها بعض الأفراد خاصة ، وأن نفعل ذلك بعناية ونقدم طعاماً ونعد للآذان تعاليم عامة أمام الكنيسة .

فى يوم الأحد الماضى ، بعد أن سمع البعض قراءة الانجيل

المقدسة (وما كانت آذانهم غير مبالية) سألوا هذا السؤال : « ماذا يعنى ماقاله ربنا للكتبة والفريسيين : « **واما انتم فتقولون من قال لأبيه او امه قربان هو الذى تنتفع به منى فلا يكرم أباه وامه . فقد ابطلتم وصية الله بسبب تقليدكم** » مت ١٥ : ٥ — ٦ .

ويشرع القديس فى الرد بهذا الترتيب البديع .

† † †

فرائض الشريعة الموسوية

بما أن بنى اسرائيل كانت لهم استعدادات بدائية جداً، ونمت فيهم عادات بربرية ، وكانوا لا يستطيعون أن يفيدوا بالقوانين طهارة الروح ، لذلك عنيت شريعة موسى بأن تجعلهم يتقدمون بواسطة تطهيرات جسدية ، حتى أن من يمتنع عن تدنيس جسده ربما يصل بذلك أخيراً ، حينما يكون قد تعلم بنفسه ، إلى أن يهرب أيضاً من دنس الروح وأن يبتعد عن الأعمال الميتة فى الخطايا .

لهذا السبب بالحقيقة ، فإن موسى نفسه كان يأمر قائلا :

« من مس ميتا ميتة انسان ما ، يكون نجسا سبعة أيام » عدد ١٩ : ١١ .

ومن ناحية أخرى ، إذ يتقدم داود ويخطو إلى الامام ويسمو فى فهمه الوصايا وروحها ، ويغلو عن حرفية الكلام ، كان يرنم : « اليك وحدك اخطأت والشر قدام عينيك صنعت لكى تتبرر فى اقوالك وتزكو فى قضائك » ٥١ : ٤ .

« طهرنى بالزوفا فاطهر . اغسلنى فابيض أكثر من الثلج » مز ٥١ : ٧ .

« رد لى بهجة خلاصك وبروح منتدبة اعضدنى » مز ٥١ : ١٢ .

لكن شيوخ الشعب الذين كانوا بعيدين عن هذه الروح ، وقد أعماهم الحرف ، كانوا يتوقفون ويلتزمون بأكثر عناية وبأكثر تدقيق بفرائض الناموس المتعلقة بالجسد ، لدرجة أنهم كانوا يطبقونها حتى على الأشياء الجامدة ، ويصرون على تطهيرها أو غسلها وتغطيسها فى الماء ، سواء السرير أو الارض أو السبت أو الغلاية ، إذا سقطت فوق هذه الأشياء احدى الجثث ، أو إذا تدنست بلمس أى سائل أو أى جسم من هذا النوع .

† † †

تفسير الآية

وكان نفس الشيء أيضاً بالنسبة لعدم السماح لهم بأن يأكلوا بأيادى غير مغسولة. ان مرقس البشير قد ذكر كل هذه العادات فى مجموعها وكل واحدة منها حسب نوعها، حينما كتب قائلا :

« لان الفريسيين وكل اليهود ان لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا ياكلون متمسكين بتقليد الشيوخ. ومن السوق ان لم يغتسلوا لا ياكلون . واشياء اخرى كثيرة تسلموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس واسرة » مر ٧ : ٣-٤ .

كان الكتبة والشيوخ والفريسيون المولوزون غيرة من أجل هذه العادات يتمسكون بها بهدف الكسب الحرام أولا، حتى أن الذين كانوا يقعون فى حبائلهم كان يلزمهم أن يترددوا عليهم كثيراً بحجة أنهم تدنسوا، وذلك ليقدموا ذبيحة لتطهيرهم، أولكى يسألوهم ويتعلموا ويدفعوا أيضاً أجراً عن التعليم الاضافى اللازم لهذه المسائل لذلك كان ربنا نفسه يندد بأمثال هذه التعاليم قائلا : **« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكأس والصفحة وهما من داخل مملوآن اختطافا ودعارة . أيها الفريسى الأعمى نق اولا داخل الكأس والصفحة لكى يكون خارجهما ايضا نقيا » مت ٢٣ : ٢٥-٢٦ .**

وكانوا يكثرون كلماتهم طلباً للمجد الباطل، ظناً منهم أنه بفرائض وتقاليد ينالون درجة المشرعين وسلطانهم .

وإذ كانت لهم مثل هذه الاستعدادات القاسية ،

« حينئذ جاء الى يسوع كتبة وفريسيون الذين من اورشليم قائلين . لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ . فانهم لا يغسلون أيديهم حينما ياكلون خبزا » مت ١٥ : ١-٢ .

يجدر بنا أن نعلم لماذا قال : « كتبة وفريسيون الذين من أورشليم » ، ولم يقل فقط : « كتبة وفريسيون » ؟ وسنذكر سبب ذلك فيما يلى : كان هناك اثنى عشر سبطاً موزعة فى أرض الميعاد، وكان سبط يهوذا وسبط بنيامين يشغلان الجزء الموجود منها حول أورشليم، بينما كانت العشرة أسباط الأخرى متفرقة فى الأجزاء الباقية. وقد تمردت هذه الأسباط الأخيرة وانفصلت وابتعدت مع يربعام، بينما كان سليمان يملك، وجعلوا العبادة لعجول الذهب بدلا من الله .

وبعد أسر سبط يهوذا وسبط بنيامين وبعد أن نقلهم نبوخذ نصر إلى الحبشة رجعوا منها وكان لايزال من ينتمون إلى هذين السبطين يشغلون نفس بقعة الأرض وبالتالى مدينة أورشليم أيضاً، وكان لهم أيضاً اهتمام بحفظ الناموس وتقاليد

آبائهم حفظاً كاملا . أما العشرة أسباط الاخرى فقد أسرهم شلمنصر الاشورى فى أيام هوشع ملك اسرائيل ، واسكنهم على الحدود وأرسل بدلا منهم قوماً إلى بلادهم من بابل والأمم والمناطق المجاورة كانت الوحوش قد أهلكتهم حتى جاء أحد الكهنة الأسرى اليهم وعلمهم ناموس موسى .

هؤلاء المستعمرون كانوا يخدمون بدون تمييز إله الناموس والشياطين ، كما يقول الكتاب المقدس : « **فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم وايضا بنوهم وبنو بنيهم فكما عمل اباؤهم هكذا هم عاملون الى هذا اليوم** » ٢ مل ١٧ : ٤١ .

هكذا كان كل الذين سكنوا فيما بعد جعلوا مقامهم فى هذه المناطق ، وكانوا هم أيضاً مرضى ضرورة بغلاظة العبادة الممتزجة وما بها من تشويش وارتباك . هذا ما اختص به الكتبة والفريسيون فى أورشليم فى الآية : « **حينئذ جاء الى يسوع كتبة وفريسيون الذين من اورشليم** » فكانوا فى إحدى أمهات المدن، حيث الهيكل وحيث توجد الذبيحة القانونية ،ونظام التطهيرات الأخرى، والاقامة فى الأشياء المقدسة : وهم الذين كانوا ينادون عالياً بحفظ هذه التقاليد حفظاً تاماً ويحملون بين أضلعهم العجرفة

والكبرياء الذى ينأى عنها ، ويسمونها وقار الشيوخ ويدينون الإنسان الذى يأكل دون أن يغسل يديه ويعتبرون ذلك غلطة كبيرة جداً .

فماذا كان رد يسوع ، الله ، الكلمة ، حكمة الآب ؟ أنه لا يعفيهم من التوبيخ يعلنهم به . وكان يمكنه أن يقول لهم : ان الرسل لا يحتاجون لغسل الأيدى الجسدية ، بعد أن حملوا صليبهم وتبعونى ، وهم أطهار من كل عمل شرير ، وقد غسلوا فى الطهارة أيدى قلوبهم العقلية وأنهم يعيشون حياة بسيطة ، لا تقيدهم المهنة وإنما تتقدم إليهم تلقائياً حسبما يتفق ، لدرجة أنهم أيضاً أحياناً يفركون بعض السنابل وهكذا يسدون حاجتهم إلى الطعام .

لا يحق إذن أن نلوم البعض فى هذه الحالة إذا كانوا يأكلون دون أن يغتسلوا ، كما لا يحق أن نلوم العصافير التى تجمع الحبوب. لأنهم بعد أن استحموا فى نمو الكمال وغسلوا وطهروا الإنسان الداخلى من كل شر . قد بينوا أن تقليد الشيوخ الذى يغسل الأيادى الخارجية غير ضرورى » .

بنفس الأسلوب كان بطرس الرسول فعلا يسمع القول :

« الذى قد اغتسل ليس له حاجة الا الى غسل رجليه بل هو طاهر كله » يو ١٣ : ١٠ .

وأيضا كان يمكن أن يقول لهم : « ولكن التلاميذ لم يتعدوا التقليد كما تقولون أنتم أنفسكم ؛ لأنه ليس عن احتقار ولا عن كسل ولا عن خيانة ولا عن حياة متعة ، قد تخطوا التقليد ، لكنهم أحاطوا قصور التقليد الذى ينحصر فقط فى طهارة الجسد ، بسموّ الروح وتألقها ؛ كما أن من يقبل الوصية التى تأمر بعدم الغضب ويحفظها ، فإنه يبين أن الوصية التى تنهى عن القتل (خر ٢٠ : ١٣) تكون نافلة ، لأن من لا يصل إلى حد الغضب ، كيف يصل إلى القتل ؟ » .

إذاً لم يقل ربنا بهذه العبارات ؛ بل أشار إلى العكس كما سنبين ذلك بعد . فهب ينقض اللوم الذى حمله الكتبة والفريسيون للرسل ، ولامهم هم أنفسهم بدوره بشدة . لأنه بعد أن ذكرهم تقليد الشيوخ . لم يقل « لماذا يتعدى الشيوخ هم أنفسهم أيضا وصية الله بسبب تقليدهم ؟ » . والا كان يتصور الفريسيون أنفسهم أن الأمر لا يتعلق بعيب هو فيهم أنفسهم ، وأنهم

أخذوا على عاتقهم الدفاع عن الآخرين ، وبذلك يدفعون السامع لتأييدهم .

لكنه قال : « **وأنتم أيضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم** » **مت ١٥ : ٣** . وهكذا أرجع الاتهام ضدهم وتجنب سماع اللوم والحكم ضد الشيوخ ، حتى البعيدين منهم .

† † †

وصية إكرام الوالدين

لننظر إذاً فى أى شىء كان تعدى الوصيـــة . قال السيد : **« فان الله اوصى قائلا اكرم اباك وامك ومن يشتم ابا او اما فليمت موتا . واما انتم فتقولون من قال لأبيه او امه قربان هو الذى تنتفع به منى. فلا يكرم اباه او امه . فقد ابطلتم وصية الله بسبب تقليدكم »، مت ١٥ : ٣ – ٦.**

ترى كيف أنه فى البداية وفى النهاية يوجه إليهم سبب الاتهام فيقول تارة : «**واما انتم فتقولون**» وطوراً : «**بسبب تقليدكم**»، دون أن يذكر الشيوخ بتاتا .

ورب معترض يقول : « يبدو لى أن الأشياء المكتوبة ليست لها علاقة بعضها ببعض ؛ فما هو العامل المشترك بين لوم الفريسيين والكتبة للتلاميذ لأنهم لايغسلون أيديهم ، وبين الوصية التى تأمر باكرام الأب والأم .

لكن إذا أنت أمعنت النظر ، فلسوف ترى أن الأشياء المكتوبة تتفق جيداً جداً فيما بينها وأنها قريبة جداً من بعضها وليست بعيدة على الأطلاق .

كان الشيوخ والفريسيين والكتبة مرضى بداء البخل ، كما قلت ، فكانوا يرتاحون إلى البحث الذى يدور حول التقاليد ؛ وحينما وجدوا أن الوصية التى تقول : « **اكرم اباك وامك لكى تطول ايامك على الأرض التى يعطيك الرب الهك** » **خر٢٠ : ١٢** . تضرهم أو تسحب منهم الربح الذى كانوا يحرصون عليه ، حينئذ فكروا ماذا يخترعون وإلى أين يذهبون؛ هم يعترضون ويقيمون ضدها أكبر الوصايا فى الرتبة والقوة ، تلك الوصية التى شرعت وأمرت : « **الرب الهنا رب واحد . فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك** » **تث ٦ : ٤ – ٥** ، وذلك بقصد هدم الوصية الأخرى .

كان البنون فعلا ييسرون لآبائهم النفع بكل ما عسى أن يجدوه وكانوا يعطونهم إياه ، لدرجة أن ما كانوا يحصلون عليه كان يبدو كأنه ملك للآباء وليس للبنين ؛ هذا ما يعرفنا به أيضا يعقوب أبو الآباء ؛ إذ أن شمعون ولاوى نهبا مدينة شخيم بعد أن أخذاها حسب قانون الحرب ، وكان أبوهما هو الذى تركها عند موته ليوسف ، كما لو كان حصل عليها هو ذاته ، قائلا : « **وانا قد وهبت لك سهما واحدا فوق اخوتك اخذته من يد الأموريين بسيفى وقوسى** » **تك ٤٨ : ٢٢** .

ومع ذلك كان البنون أنفسهم يعتبرون أنفسهم أنهم لا يملكون شيئا من مكاسبهم الشخصية ومن أرباحهم ، وفى كل شىء كانوا يتنازلون إلى والديهم خشية أن يتعدوا بذلك بعض الشىء الناموس الذى يأمر باكرامهم .

ففهم إذاً كان الاعتراض فى تقليد الشيوخ الموقر ؟ فى أنه للأبناء أن يعلنوا مقدما ويشهدوا مقدما بطريقة ما إذ يقولون لابيهم وأمهم : « كل ما يمكن أن تستفيدوا منه منى أو كل ما يمكن أن تنتفعوا به منا أو يؤول إلى المنفعة ، هو قربان سبق أن قدمته وقد جعلته جانبا وكرسته لله » . فكان الآباء فى أرتباكهم يجدون أنفسهم داخلين فى معركة ضد الناموس الخطير الذى يأمر بأن يكون الله مكرما فوق الكل ، فيلتزمون بالموافقة ، ولا يجرأون حتى على لمس الأشياء التى سبق اعطاؤها بموجب وعد الأشياء المنذورة التى وضعت جانبا لأنها أشياء مقدسة . بهذه الطريقة المكرة كان البنون الذين يطلقون آباءهم من الدين الذى يأمر به الناموس يشتركون مع الشيوخ فى هذه العطايا المقوتة .

وقد أوضح مرقس البشير بأكثر وضوح ما كتبه متى

البشير بقوله : « **واما انتم فتقولون ان قال انسان لابيه او امه قربان اى هدية هو الذى تنتفع به منى . فلا تدعونه فى ما بعد يفعل شيئا لابيه او امه** » مر ٧ : ١١ — ١٢ . وفى اللغة العبرية ، كلمة « قربان » معناها تقدمة أو عطية موضوعة جانبا ومكرسة لله .

لهذا السبب فان رؤساء الكهنة الذين دفعوا ليهوذا ثمن خيانته للسيح واعتبروها ضد الله إذ لم يريدوا أن يشتركوا فى نجاسة الثلاثين من الفضة قالوا : « **لا يحل ان نلقيها فى الخزانة لانها ثمن دم** » مت ٢٧ : ٦ . وهكذا كانوا يعطون اسم « قربان » لصندوق العطايا والتقدمات التى تقدم لله . وجاء فى رسالة يهوذا : « **ويل لهم لانهم سلكوا طريق قايين وانصبوا الى ضلالة بلعام لاجل اجرة وهلكوا فى مشاجرة قورح** » يهوذا ١ : ١١ . وأيضا بعد ذلك بقليل : «**هؤلاء هم مدمدمون متشكون سالكون بحسب شهواتهم وفمهم يتكلم بعظائم يحابون بالوجوه من اجل المنفعة** » يهوذا ١ : ١٦ .

فتأمل إذاً الآن كيف يدفع مخلصنا اتهام الفريسيين بطريقة لائقة ومستورة ، بتبكيتهم وتوجيه اللوم اليهم بدوره . فكما كان

هؤلاء يأخذون على الرسل أنهم لم يتطهروا لانهم كانوا يأكلون دون أن يغسلوا أيديهم ، كذلك أظهر ربنا له المجد أنه أيضا كان ينقصهم الطهارة الحقيقية ، لانهم كانوا يهدمون وصية الله ببخلهم ، بينما كان الرسل يجتهدون ليس فقط حتى لا يكونوا بخلاء ، بل أيضا لكى يكونوا فقراء تماما . لان من له مثل هذا الاستعداد ، هو ذاته الذى تكون يداه طاهرتين . اسمع اشعيا النبى الذى يقول:

« السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة الرافض مكسب المظالم النافض يديه من قبض الرشوة الذى يسد اذنيه عن سمع الدماء ويغمض عينيه عن النظر الى الشر هو فى الاعالى يسكن . حصون الصخور ملجاه . يعطى خبزه ومياهه مامونة » اش ٣٣ : ١٥ – ١٦ .

فهذا يتفق أيضا مع دحض البخل وكأنه يقول: « إذا كنتم أنتم أيها الفريسيون والكتبة قد اخترعتم فى قساوتكم أن تخفوا تحت الوصية العظمى التى تأمر بأن : **« تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » تث ٦ : ٥** . الوصية الاصغر التى تأمر باكرام الآباء قائلين بتقليدكم سادرين فى طمعكم فى الربح : **« من قال لابيه او امه قربان هو الذى تنتفع به منى. فلا يكرم اباه او امه » مت ١٥ : ٥** . فكيف لاتتركون الرسل

الاطهار الذين تتمثل فيهم عظمة الكمال الشامل حسب الإنسان الداخلى ليتركوا تقليدكم غير الخالص حقيقة بشأن طهارة اليدين وحسبهُ البياض الخارجى ولا يعبأ بما فى الداخل ، كما يحدث للقبور المبيضة **« تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة » مت ٢٣ : ٢٧** . كما يقول الإنجيل فى مكان آخر ؟

بعد أن لاشى الرب يسوع بهذه الكلمات اتهام الفريسيين ، ولم يفعل الرب ذلك فحسب بل أظهر أنهم هم أنفسهم ممسكون بموضوع اتهامهم ، مسهم بطريقة حكيمة إلهية وأظهر أنه بالقلب وليس بالحيم الخارجى نحكم بالطهارة وغيرها ، مشيراً أيضا إلى النبى اشعيا بقوله : **« يا مراؤون حسنا تنبأ عنكم اشعيا قائلا . يقترب الى هذا الشعب بفيه ويكرمنى بشفتيه واما قلبه فمبتعد عنى بعيدا » مت ١٥ : ٧–٩** .

بعد أن أظهر أن النبى قد دعا تعاليم الفريسيين تعاليم بشرية ليس فيها ما يهتم بالناموس أو بما لله ، وكل ما فيها بشرى ، وبعد أن ذكر الشعب أيضا ، ينقل إليه فى الحال فى ذلك الزمان معلما إيانا كما هو مكتوب : **« اريتك طريق الحكمة . هديتك سبل**

الاستقامة » ام ٤ : ١١ ، فهو يقول مخاطبا الجمع : **« ثم دعا الجمع وقال لهم اسمعوا وافهموا . ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان . بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان » مت ١٥ : ١٠ — ١١ .**

يقول أن الفريسيين إذ يهتمون بوصايا الشيوخ البشرية كانوا يلومونى بسؤالهم : **« لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ . فانهم لا يغسلون ايديهم حينما ياكلون خبزاً » مت ١٥ : ٢ .**

وأنا أقول ليس فقط أن الرسل أرفع من هذه الوصايا ، لكن أيضا ان الوقت قد حان فلن نعود نهتم بتعاليم الناموس وما بها من غلظة وما يتعلق بالأطعمة . فقد كان الناموس يأمرنا أن نأكل من هذا الشيء أو ذاك وأن نبتعد عن هذا الشيء أو ذاك ، ليس لأن فى الأطعمة الطهارة التى هى حسب الروح ، أو النجاسة ، لكن لكى لا نقبل على كل شيء مثل البهائم المتوحشة بفم ليس له ضابط ، ولكى لا نجعل الله غاية للطعام . لذلك قال أيضا : **« فريضة دهرية فى اجيالكم فى جميع مساكنكم لا تاكلوا شيئا من الشحم ولا من الدم » لا ٣ : ١٧ .** ذلك لأنه يسمن الجسد ويؤدى إلى الفسق ، بما يذكر بالحيوان المتوحش والبربرية . وبما أن كلمة الانجيل تأمرنا أن ننظر إلى طيور السماء ، **« انظروا**

الى طيور السماء . انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن . وابوكم السماوى يقوتها . السنتم انتم بالحرى افضل منها » مت ٦ : ٢٦

وأن نسعى مثلها نحو الطعام البسيط الذى يأتى من الحبوب بدون تكلف ، فلذلك يكون زائداً عن الحاجة أن نعمل ترتيبا خاصا بأنواع الأطعمة . لأنه يقول : **« ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان . بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان » مت ١٥ : ١١ .** أى ما يخرج من القلب ، **« لان من القلب تخرج افكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف » مت ١٥ : ١٩ .**

ماذا ينفعك إذاً أيها الفريسى الا تأكل شحماً ومع ذلك تصل إلى الشهوات التى تخرج من القلب وتدنس الإنسان ؟ لأنه من القلب تأتى أولا حركة اللذة عمداً . أو أى منفعة تكون لك حينما تمتنع عن دم الحيوانات الغير العاقلة ، بينما تصير قاسياً مثل الحيوان المتوحش وتهرق دم الإنسان ؟ وهكذا تنسى حقاً ما يريده الناموس لأنك تبحث عما يدخل الفم ولا ينجس الإنسان ، ولا تبالى بما يخرج من الفم وينجس الإنسان . لأنه من أجل ما يخرج من الفم كان الناموس منذ البدء ، ومن أجل هذا قد أمرت أن تمتنع عما يدخله .

فاذا قال أحد : « لو كان ما يدخل الفم لاينجس ، فاذا فيما كان يطلب من الشهداء أن يأكلوا ما ذبح للأوثان » .

نجيب أن من كان له هذه المشاعر قد نسى أن الطعام لم يذكر لذاته ، بل لأنه ممتزج بالتجديف . وهو ينجس الإنسان ليس لأنه طعام ، لكن لأنه يتصف بالتجديف والنجاسة ؛ وأما كون التجديف يخرج من القلب فهذا شيء معلوم . ولاسيما إذا كان لا يقرّ سلفاً أن يقدم الخضوع لله ، وكان مستعداً للتجديف ، فما كان يلزمه أن يتذوق تلك الذبيحة النجسة . وقد شهد بولس الرسول فى رسالته إلى أهل كورنثوس أن الطعام ذاته لايستطيع أن ينجس ، بل أن الاستعداد الروحى الذى به يؤخذ الطعام هو الذى ينجس، فقال: « **وان كان احد من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون ان تذهبوا فكل ما يقدم لكم كلوا منه غير فاحصين من اجل الضمير . ولكن ان قال لكم احد هذا مذبوح لوثن فلا تاكلوا من اجل ذاك الذى أعلمكم والضمير . لان للرب الارض وملأها** » ١ كو ١٠ : ٢٧-٢٨ .

لهذا السبب قد جاهد المكابيين جيداً فى المعركة وفضلاً

الناموس ، لأنهم لم يريدوا أن يتعدوا الناموس ويأكلوا لحم الخنزير بطريقة نجسة .

كانت الفرائض الرمزية سائدة إلى ذلك الوقت ، وكان السلوك بحسب حرفية الناموس هو المعمول به ؛ لأن كل من كان يأكل ما هو محرم كان يتدنس ويصير نجساً ليس لمجرد تناوله طعاماً ، لكن لأنه كان يأكل شيئاً محرماً .

† † †

الغاء حرفية الناموس

وبعد مجيء المسيح ألغى الحرف وأكد ما يخـــرج روح الناموس بالحياة الانجيلية السامية ، فضبط ما يخرج من الفم وما يخرج من القلب ويدنس الإنسان أيضاً،وحقق نظرة الشهوة بعقاب الزنا ، وحقق حركة الغضب بعقـاب القتـل . فمنذ ذلك الحين ما يدخل الفم لايدنس الإنسان بعد ، لأن الذى يحيـا فى المسيح بطريقة إنجيلية سامية ليس تحت فرائض ناموسية بخصوص الأطعمة .

أما مع الفريسيين الذين لم يفهموا فى ذلك الوقت هذه الكلمة، وكانوا يظنون أن حفظ الناموس ينحصر فى الأطعمة ، فكانوا من العـاثرين ، وكذلك مع الرسـل الذين اختبروا نفس الشعور أيضاً ، فكان يتصرف بحلم وبهدوء .

وفى حديثه عن هذا الموضـــوع أخيراً فصـل الخطاب : **« واما الاكل بايد غير مغسولة فلا ينجس الانسان» مت ١٥:٢٠** حتى ليتبين قوله عن موضوع ماينجس الإنسان وليس عن حفظ الوصية الخاصة بالأطعمة .

وقد بين بطرس الرسول فى سفر الأعمال أنه منذ البدء كان يبدو ذلك صعباً حتى على الرسـل ، وذلك حينما رأى فى رؤياه الملاءة المملوءة من كل الطيـــور والزواحف والدواب وسمع الكلمات القائلة : **« قم يابطرس اذبح وكل» اع ١٠ : ١٣**. فرد: **« كلا يارب لانى لم اكل قط شيئا دنسا او نجسا» اع ١٠:١٤**.

وقد أوضح الرسل بطريقة مميزة أنهم عثروا . قالوا : **« اتعلم ان الفريسيين لما سمعوا القول نفروا » مت ١٥ : ١٢** .

لذلك فقد هاجم يسوع الفريسيين بشدة قائلا : **« كل غرس لم يغرسه ابى السماوى يقلع. اتركوهم . هم عميان قادة عميان. وان كان اعمى يقود اعمى يسقطان كلاهما فى حفرة » مت ١٥ : ١٣ : ١٤** . أطلق على الفرع من فروع التقـاليد الفريسية التى تتمسك بحرفيـة النـاموس « غرس لم يغرسه الله » . تلك تثير الجدل ، جوفاء ، ليس لهـا مغزى ، وهى لا تتفق مع النـاموس الذى وضعه الله تعالى .

وفعلا نجد ان الكفرة لم تتقصهم طلاقة اللسان النجس الذى يحارب الله . ولهذا السبب قد وصف السيد المسيح الفريسيين بالعميان لأنهم ثبتوا عينهم على الحرف ولم يريدوا أن ينظروا إلى الروح والمعنى الداخلى . وقد ترتب على ذلك أيضاً أنه تعالى أمر

بالأعراض عنهم حينما عثروا بدون سبب ، إذ قال : « **اتركوهم. هم عميان قادة عميان وان كان اعمى يقود اعمى يسقطان كلاهما فى حفرة** » مت ١٥ : ١٤ . ولكى يبعد الجموع أيضاً عن تعليم الفريسيين المهلك ، فقد بين أنه ثمة خطورة كبيرة فى اتخاذنا قادة عميان للاسترشاد بهم فى طريق الأعمال الواجبة .

الا أنه حينما قال جباة ضريبة الدرهمين للرسل : « **اما يوفى معلمكم الدرهمين** » مت ١٧ : ٢٤ . بعد أن بين أنه معفى وغير خاضع للضريبة لأنه إبن حقيقى للملك وإله من إله ، قال لبطرس: « **ولكن لئلا نعثرهم اذهب الى البحر والق سنارة والسمكة التى تطلع اولا خذها ومتى فتحت فاها تجد استارا فخذه واعطهم عنى وعنك** » مت ١٧ : ٢٧ . معلما إيانا فى الأعمال الدنيوية وفى كل ما يتعلق بالخيرات والأموال ، الا نحتقر الذين يعثرون ، والا تعبأ بالذين هم أشبه بالفريسيين يحفظون التعليم الإلهى ويتذكرونه بغيرة حينما يعثرون .

لأنه حينما كان اليهـــود والوثنيون يعثرون ويستهزئون بالبشارة وبالصليب ، لم يكن بولس الرسول فى ذلك ليسكت بل بالعكس كان يقول : « **ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة** » ١ كو ١ : ٢٣ . هكذا يجب

علينا إذاً أن نؤدى أعمالنا الروحية اللاهوتية حتى لو كان الوثنيون واليهود أو أى عدو آخر فقه ، يتمزق من جراء عثرته .

يجب أن نبتعد عن تقاليد الفريسيين وما يشبهها أيضا ، فإن منها تتحدر تلك الأشياء التى تدعى أحجبة ، وتلك السيور الجلدية المربوطة بخيوط الكتان ، يعلقها بعض الناس فى رقابهم أو فى أى عضو آخر ، لأن المسيح ربنا يقول فى الأنجيل عن الفريسيين: « **وكل اعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون اهداب ثيابهم** » مت ٢٣ : ٥ .

ويروى فى سفر الأعمال أن المناديل والعصائب التى كانوا يأخذونها من على جسد بولس الرسول كانت تذهب الأمراض إذا وضعوها على المرضى ، « **حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل او مآزر الى المرضى فتزول عنهم الامراض وتخرج الارواح الشريرة منهم** » اع ١٩ : ١٢ . لكنهم كانوا يفعلون ذلك بحسب عادة من عادات الشعب بدون علم بولس ولم يكن بولس يعلم ذلك. والكتاب المقدس يوصى : « **امريض احد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له** » يعقوب ٥ : ١٤ - ١٥ .

ترى ان زيت التدبين الذى تدهن به حسب الوصية يخلص ليس فقط من المرض بل أيضا من كثرة الخطايا . إذاً فما يكون مسموحا بعمله بطريقة صحيحة وما يمكن أن تكون له منفعة مثل هذه ، لماذا تخطىء فى فعله وتخسره ، حينما ينصب اهتمامك على الأربطة والشرائط التى تضعها حول يدك أو حول عنقك ؟ ربما تعلقها أنت على جسدك بعد أن تكون قد أخذتها من القديسين فعلا ، أما آخرون فقد يعلقونها بعد أن يكونوا قد أخذوها من اختراع شيطانى أو سحر .

بم إذاً تميز الفرق لتتفادى الخسارة ؟ فى الواقع حتى لو كنت أنت نفسك لا تخسر شيئا كما قلت ، الا انك تسبب للآخرين ما يجرحهم بقدوتك . لذلك كان بعض المسيحيين فى كورنثوس ، ليس عن طريق عبادة الاصنام ، بل بحسب عادة غير معقولة ، يذهبون إلى الولائم ويجلسون على الموائد ويقولون مثلكم أنهم لا يخسرون شيئا البتة بذلك . فنجد بولس الرسول يكتب لهم:

« لانه ان رآك احد يا من له علم متكئا فى هيكل وثن افلا يتقوى ضميره اذ هو ضعيف حتى ياكل ما ذبح للاوثان . فيهلك بسبب علمك الاخ الضعيف الذى مات المسيح من أجله . وهكذا اذ تخطئون الى الاخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف تخطئون الى المسيح . لذلك ان كان طعام يعثر اخى فلن اكل لحما الى الابد لئلا اعثر اخى .
١ كو ٨ : ١٠ — ١٣ .

يجب إذاً أن نقطع هذه العادات الغير معقولة إذا عرفنا أن بها تتسبب للغير أن يصيبهم الضرر . قلت لكم هذا ، ليس لكى أنصب لكم فخا بل لكى اجعلكم وقت تعليمكم قادرين على فحص الامور ومتمكنين مما يليق بكم أن تفعلوه ، ولكى اقنعكم الا تحكموا على شىء قبل الوقت .

ولا تقولوا ان هذا البطريرك قد أعطاكم وصية شديدة جداً وصعبة جداً لان عظمة هذا اللقب تزيد أيضا من مسئوليتى ؛ وانى أرتاح بالرغم من ذلك ، منتظراً وقت الكلام بمشابرة ، كقول سليمان فى سفر الجامعة : **« للسكوت وقت وللتكلم وقت »** جامعة ٣ : ٧ .

فكل ما نفعله إذاً فإننا نفعله رأفة بأرواحكم حتى إذا فعلتم الخير ليس عن اضطرار بل برضاكم تصيرون كاملين؛ **« فتكونوا انتم كاملين كما ان اباكم الذى فى السموات هو كامل »** مت٥ : ٤٨ له يليق المجد مع المسيح والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين ؟

† † †